أثر المفاهيم الفكرية للإمبراطورية الأكدية على عمارة القصور

د. حسين ظاهر حمود(*)

المهندسة خولة فياض الداؤدي

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة العلاقة بين النزعة الفكرية والميول السياسية للعصر الأكدي، على نوع أو نمط تصميم عمارة القصور بصورة عامة، وأسباب اهتمام الأكديين بها. كما يدرس تأثير هذا الفكر على العناصر التصميمية للقصر، وأسباب استخدام كل عنصر منها، ومعرفة أكان ذلك ناتجاً عن تخطيط ودراسة مسبقة تعكس تطور الفكر الإمبراطوري الأكدي، أم انها كانت مجرد أبنية نفعية محضة غير خاضعة للتخطيط والدراسة المسبقة؟

المقدمة

تعد العمارة مظهراً حضارياً مهماً في جميع العصور، بوصفها عملاً فنياً إبداعياً يعكس مفاهيم الإنسان التخطيطية، كما تعبّر عن شخصيتة من خلال ما بناه[1]، من هذا المنطلق يتناول هذا البحث دراسة مدى تأثير شخصية الإنسان الأكدي، وطبيعة أفكاره على عمارة القصور خصوصاً تلك التي شيدت بعد تأسيس الإمبراطورية الأكدية (بحدود 2371ق.م)، وقد تطرق البحث إلى تأثير الفكر

(*) رئيس قسم الآثار _ كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) شيرزاد، شيرين إحسان: لمحات من تاريخ العمارة، بغداد، 1987م، ص 9.

الأكدي على: تصميم الواجهات الخارجية، والمخططات الأرضية، ومواد البناء المستخدمة، ومخططات الحركة الداخلية للقصور.

العصر الأكدي (2371-2183ق.م)

لقد كان وصول الأكديين[2] إلى الحكم بقيادة سرجون الأكدي إيذاناً بإعلان أول إمبراطورية في العراق القديم، وتلك الإمبراطورية استطاعت أن توسع حدودها من مملكة صغيرة لتضم بلاد سومر وأكد في الجنوب، عيلام في الشرق، وأشور في الشمال[3]، متخذة من مدينة أكد عاصمة لها [4] وباستلام الأكديين زمام السلطة السياسية في البلاد بدأوا بتنفيذ منجزاتهم السياسية العسكرية والحضارية، ومنها بشكل خاص في مجال الفن والعمارة.

فقد خلد الأكديون ذكرى انتصاراتهم الحربية، كما انهم شيدوا القصور الفخمة وأضافوا مفاهيم جديدة في البناء على عناصر العمارة السومرية السابقة لها، وهكذا بدأت معالم حضارة جديدة تدفق منها نهر الحياة بطلاقة اكبر [5]، فقد زالت السطوة الدينية الصارمة للكهنة، وخفَّت حدتها مما كان سائداً في عصر فجر السلالات

---

(2) الأكديون: من الأقوام العربية القديمة التي هاجرت من شبه جزيرة العرب تجاه بلاد الرافدين في حدود منتصف الألف الثالث ق.م، وقد سمي الأكديون بهذه التسمية نسبة إلى عاصمتهم أكد.

(3) لويد، سيتون: آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، 1980، ص109.

(4) لم يتم اكتشاف مدينة أكد أو تحديد موقعها إلى حد الآن، ويخمن الباحثون ان موقعها يقع قرب مدينة بابل.
- رو، جورج: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، بغداد، 1986، ط2، ص209، ص210.

(5) سعيد، مؤيد، العمارة في عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث، في: حضارة العراق، بغداد، 1985، ج3، ص 124-125.

السومرية ليسود محلها مفهوم الفكر الأكدي الرسمي الهادف إلى احترام الملوك الأقوياء وتمجيد فكرهم الإمبراطوري[6].

أثر المفاهيم الفكرية على تخطيطات العمارة

لا ينظر الآثاريون إلى التخطيطات العمارية على انها مجرد أبنية شاخصة تؤدي وظائف معينة بل يعدّون تلك المباني مرآة تعكس نزعة العصر الذي أنشئت فيه، وطبيعة الميول الدينية والسياسية، ومدى التطور الفكري، والتقدم الحضاري الذي بلغته الأقوام في أي مرحلة تاريخية، فهنالك دائماً علاقة بين نوع الأبنية وطبيعة مخططاتها والتوجه الفكري لأي عصر من العصور، ومنها ان للعادات والتقاليد في المجتمع تأثيراً على طريقة المعيشة، ومن ثم تحديد طبيعة نظام الحياة فيها وخاصة فيما يتعلق بالعمارة، كما ان نظام الحكم كان له تأثير كبير على خصائص العمارة[7].

والشعوب كانت وما زالت تنفذ أفكارها ومعتقداتها بصورة إرادية أو غير إرادية من خلال العمائر التي تشيدها، فهي إما تستخدم العمارة وسيلة لتخليد أمجادها وبطولاتها وتقيم أمامها النصب التذكارية والمسلات...، أو هي تعكس بصورة غير مباشرة ميولها الفكرية والدينية السائدة.

فنلحظ في كل عصر اهتماماً بنوع معين من الأبنية اكثر من غيرها؛ لأنها تنسجم وميولها، فمثلاً في العصور التي ساد فيها تأثير الفكر الديني وسلطة الكهنة ازدهرت عمارة المعابد وتفوقت على بقية الأبنية الأخرى، في حين ساد خلال

(6) محسن، زهير صاحب، الخطاط، سلمان: تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، بغداد، 1987، ص 116.

(7) شيرزاد، المصدر السابق، ص10.

العصور التي تحمل الطابع العسكري والاهتمام بالحملات والانتصارات العسكرية كثرة الاهتمام بعمارة القصور والحصون والأسوار....وهكذا[8].

وبذلك يمكن ان نقيم توجهات أي عصر وميوله وتطوره الفكري من خلال الآثار العمارية المكتشفة من ذلك العصر، فالعمارة إذن هي المرآة الصادقة والمعبّرة عن توجهات أي عصر، سنعرض في هذا البحث مدى تأثير النزهة الإمبراطورية للعصر الأكدي على عمارته من خلال دراسة آثاره العمارية المكتشفة.

أثر المفاهيم الأكدية على عمارة المباني

إنَّ معظم المخلفات العمارية الأكدية التي تم اكتشافها يمكن تشخيصها استناداً إلى عناصرها العمارية الأساسية ولاسيما في أبنية القصور، فقد ركز الأكديون على تشييد القصور دون المعابد، إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يبنوا المعابد احتراماً لآلهتهم، ويأتي اعتزاز الأكديين ببناء القصور والحصون من النزعة الإمبراطورية والمفاهيم الرسمية الخاصة بهم، والتي تظهر قوة الملوك وهيبتهم وتمجد فكرهم الإمبراطوري[9]، والذي انعكس على شكل العمارة وعناصرها بعد أن زالت سلطة الكهنة الدينية وخفّت حدتها واتجه الفكر الأكدي نحو التجديد والانفتاح نحو وضع تصاميم جديدة للأبنية التي هي في اغلبها قصور أبنية متناسقة في تخطيطها.

وهكذا "عبّرت نزعة الحياة عند هذا الجنس الذي يرى نفسه مركز دولة كبرى عن نفسها خير تعبير...وكأن الحياة بالنسبة إليهم تمثل حالة تغير مستمر وتطور لا نهاية له..."[10].

---

(8) الأعظمي، محمد طه محمد، الأسوار والتحصنات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، 1992.

(9) محسن والخطاط: المصدر السابق، ص 117.

(10) عكاشة، ثروت: الفن العراقي (سومر وبابل وأشور)، بغداد، 1977، ص 254.

القصور الأكدية

على الرغم من قلة النماذج المكتشفة للقصور الأكدية فضلاً عن كونها من مناطق بعيدة عن العاصمة الأكدية إلا أنه يمكن الاستعانة بها في دراسة تأثير مفاهيم الفكر الإمبراطوري الأكدي على عمارة القصور.

إنَّ من أهم خصائص عمارة القصور الأكدية الدقة في التنظيم الداخلي، وفي أساليب التنسيق والتنظيم للغرف حول الساحات الداخلية التي كان للكل منها وظيفتها الخاصة[11]، إذ شيد القصر الأكدي ليكون مقراً لسكن الملك و إدارة شؤون دولته المتراصة منها، فضلاً عن تحصينها المتزايد حيث كان محاطاً بسور ضخم مزود بأبراج دفاعية[12]، يمكن الدفاع عنه بأحكام ضد الأخطار وهكذا بني القصر الأكدي منذ البداية وهو يحمل نظاماً دفاعياً خاصاً.

ومن نماذج القصور الأكدية المكتشفة القصر الأكدي في مدينة أشور وقصر (حصن) نرام – سين في تل براك شمال سوريا[13]، والقصر الأكدي في تل اسمر في ديالى؛ ولان القصر الأخير (في تل اسمر) لا يعبّر بصفة مباشرة عن المفهوم الأكدي للملكية على العكس من القصرين اللذين وجدا في تل براك وأشور، لذا سيكون هذان القصران محور دراسة تأثير المفاهيم الفكرية للإمبراطورية الأكدية على عمارة القصور.

(11) سعيد، المصدر السابق، ص 124.

(12) لويد، المصدر السابق، ص 163.

(13) الاعظمي، المصدر السابق، ص 80.

القصر الأكدي في تل أسمر ←

↑ القصر القديم في أشور

فصر نرام سين في تل براك ←

القصور الأكدية

أثر الفكر الإمبراطوري الأكدي على العناصر العمارية للقصور

1. الشكل الخارجي للقصر الأكدي (الواجهات والشكل الخارجي للمخططات الأرضية):

للميول الأكدية تأثير واضح على الشكل الخارجي للقصور سواء في تصميم الواجهات أو الشكل الخارجي للمخططات الأرضية.

وفيما يأتي المكونات والعناصر التخطيطية للشكل الخارجي وسبب استخدام كل عنصر:

	العنصر التصميمي	المفاهيم الأكدية
1	استخدام الشكل المربع في تخطيطات القصور وتوجيه زواياه باتجاه الجهات الأربع[14].	- لتعكس مفهوم او فكرة الإمبراطورية التي ضمت مناطق العالم القديم الأربع. - الشكل المربع عكس ما امتازت به الإمبراطورية الأكدية من قوة وثبات واستقرار. - أسلوب التصميم إشارة إلى التفكيروالتخطيط المسبق للقصور، فلم تكن مخططاتها عشوائية وغير مدروسة، وإنها وضعت وفق تخطيطات مسبقة ومتقنة.

(14) سعيد، المصدر السابق، ص 124.

2	استخدام الزوايا القائمة [15].	- إعطائها نوع من الرصانة والجمالية والسمو والتي تبين ما امتاز به الأكديون من حب للأناقة والجمال، وأثرها على التصاميم المعمارية. - إشارة إلى التفكير والتخطيط المسبق والمدروس للقصور. - تعكس ما امتاز به الملوك الأكديون من هيبة وقوة وعظمة
3	استخدام مدخل واحد ضيق للقصر وهو محاط ببرجين دفاعيين[16]	- تعبر عن الروح الأكدية المتطلعة إلى مواصلة الحملات العسكرية والحربية. - عكست النزعة الأكدية التي تبحث عن قوة الملوك وشجاعتهم، ومجدت فكرهم الإمبراطوري فضلاً عن إكساب القصر صفة تحصينية ورسمية لكونه مقراً للحكم. - عكست ما امتاز به الملوك الأكديون من الصرامة والسطوة والقوة. - التحصين المحكم للقصر للدفاع عنه عند تعرضه إلى أي هجوم مفاجئ من لدن الأعداء.
4	خلو الجدران الخارجية من الطلعات والدخلات[17].	
5	خلو الجدران الخارجية من الفتحات و النوافذ[18].	
6	إحاطة القصر بسور ضخم وأبراج دفاعية.	

(15) لويد، المصدر السابق، ص 165.

(16)Frankfort, Henri, The Art and Architecture of the Ancient Orient, Britain, 1955, P 42.

(17) الاعظمي، المصدر السابق، ص 83.

(18) Strommenger, Eva: The Art of Mesopotami'a, London, 1964, P. 34.

1. الشكل الخارجي للقصور

1. الشكل المربع
2. الزوايا القائمة.
3. المدخل الضيق.
4. خلو الجدران من الفتحات والنوافذ.
5. خلو الجدران من الطلعات والدخلات.

مواد البناء

استخدم اللبن في معظم المباني الدينية والدنيوية في العراق القديم؛ وذلك لوفرة مادته الأساسية (الطين)، ولميزاته العمارية وملائمته للبيئة ثانياً، وكلما كانت عجينة الطين متماسكة اكثر كأن اقل تعرض للكسر عند جفاف قطع اللبن[19].

واستخدم في عصر فجر السلالات السومرية الذي سبق العصر الأكدي نوع من اللبن سمي باللبن المستوي المحدب (الريمشن) وهو بشكل متوازي مستطيلات، ويتميز سطحه الأعلى بكونه غير مستوٍ، وانما هو محدب ومنتفخ الوسط قليلاً [20] لكن هذا النوع من اللبن لم يستخدم في العصر الأكدي؛ لأنه كان يؤلف تناقضاً تاماً لشعور الأكديين بالنسبة إلى الطراز المعماري فأصبح اللبن المستخدم هو متوازي مستطيلات ذات سطح مستوٍ كبير الحجم مستطيل او مربع[21]، فاستخدام هذا النوع من اللبن يعكس الطبيعة الأكدية المتسمة بالاستقرار والقوة والميل إلى كل ما هو كامل ومتزن.

هذا وقد استخدموا الطين كمونة للربط بين أجزاء اللبن[22]، والأخشاب وربما الحصران للتسقيف فقد تم تغطية الأخشاب أو الحصران بطبقة من الطين، فتصبح

---

(19) Marcel, J. p. Traditional building materials, sumer, vol-4, No. 1-2, 1985, p. 130.

(20)Moorey, P. R. S: The plano – convex building at kish and Early Mesopotamian Palaces, Iraq, vol. 26, 1964, p. 83.

(21) مورتكات، انطوان: الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان، سليم طه التكريتي، بغداد، 1975، ص153-156.

(22) كان الطين يمثل المادة الرابطة لقطع اللبن والآجر عند البناء فهي مادة تتمتع بخواص المواد الإنشائية نفسها المستخدمة ولاسيما اللبن الذي يعطي انسجاماً في ردود الفعل، ودرجات المقاومة بوجه التأثيرات البيئية وتقادم عمر البناء. ينظر: جرك، اوسام بحر: الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير، بغداد، 1998، ص172.

ينظر أيضا: مظلوم، طارق: البيئة والمعمار في بلاد الرافدين واستعمال مادة اللبن، بحوث الندوة القطرية الثالثة في تاريخ العلوم عند العرب، مركز أحياء التراث العلمي العربي، 1987، 224.

مستوية بعد ضغطها لتسقيف القصور[23].

وهنا لابد من الإشارة إلى انَّ العراقيين القدماء استخدموا الآجر (الطابوق) وهو اللبن المفخور كمادة إنشائية رغم تأخر استخدامه عن اللبن بفترة لا تقل عن 3000 سنة[24] كما استخدمت الدعامات أو الأجزاء الساندة للجدران لتقوية الجدران ومنعها من الانهيار، فضلاً عن استخدام القار أو القير في الأجزاء السفلى من الجدران لمنع الرطوبة وتآكل أسس الجدران[25].

أما الأحجار فاستخدمت بنسبة ضئيلة جداً في الاسس؛ لاسناد الجدران المشيدة عليها، ومن خلال دراسة مواد البناء وأسلوب استخدامها يتبين ان اختيار هذه المواد لم يكن عشوائياً وانما هو ناتج عن تخطيط مدروس، مما يعكس تطور الفكر الأكدي وتوسع افقه.

3. المخططات الوظيفية للقصور

عند دراسة المخططات الوظيفية للقصور يبدو واضحاً تأثير الفكر الإمبراطوري الأكدي على أسلوب التخطيط والحل الوظيفي للقصور,

وفيما يأتي دراسة أثر النزعة والفكر الأكدي على المخططات الداخلية للقصور:

(23) الراوي، فاروق ناصر: دراسة تسقيف العمائر العراقية القديمة، مجلة التراث والحضارة ع12-14 بغداد. 1990-1992 ، ص49

(24)Lioyd, s: "building in Brick and stone" History of Technology vol.1, oxford, 1955, p. 459.

(25) رشيد، فوزي: صناعة الطابوق في العراق القديم، مجلة النفط والتنمية، السنة السادسة، ع 7-8، 1981، ص45.

	العنصر التصميمي	المفاهيم الفكرية
1.	من دراسة المخططات الوظيفية للقصر الأكدي تبين أنه استخدم لأكثر من غرض، فهي عادة تكون مقسمة إلى ثلاث أقسام رئيسة[26]: أ. القسم الأوسط: وقد كان يمثل القسم الملكي الخاص وغرف الإداريين والقادة وهو يتصل مباشرة بالمدخل ومنه إلى ساحة كبيرة، ومن ثم إلى ساحة أخرى تؤدي إلى قاعة العرش. ب. القسم الجنوبي الغربي من القصر وهو القسم الخاص بالسكن الملكي وجناح حريمه جـ. القسم الشمالي الشرقي:ـ وهو خاص بالمؤن والمعدات العسكرية.	يشير إلى التخطيط المسبق للقصور الأكدية والفكر التنظيمي للأقسام والأجنحة المختلفة وفق اتجاهات ومواقع مدروسة. ـ يعكس طبيعة القصر الأكدي الذي لم يكن بناءاً سكنياً للملك فحسب وإنما كان مقراً لادارة الحكم وحصناً عسكرياً. وهي بذلك تنم عن طبيعة المفهوم الإمبراطوري الأكدي والميل إلى تعظيم الملكية وتمجيدها.
2.	استخدام الساحات الداخلية فكل قسم في القصر ينفتح عادة على ساحة داخلية تحيط به عدد من الغرف تؤدي وظيفة معينة[27]	ـ يعكس ما اتصف به القصر الأكدي من تخطيط مسبق ودراية بفعاليات ووظيفة كل قسم من أقسام المبنى يعطي انطباعاً بالتنظيم الفكري والتحصيني للاكديين ايضاً، فنلحظ انغلاق المبنى من الخارج وانفتاحه من الداخل.

(26) الأعظمي: المصدر السابق، ص84.

يوسف، شريف:تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، 1983، ص70.

(27) Frankfort, op. cit, p. 45.

3.	السمك الكبير للجدران الخارجية التي تصل إلى (10) م، وسمك الجدران الداخلية التي تصل إلى (2-3) م[28].	ـ تشير إلى قوة استحكاماتها ودفاعاتها وتخطيطها الهندسي، وتقسيماتها الداخلية المنتظمة فتكون حصناً دفاعياً منيعا، مما يعكس ميل الفكر الأكدي بالاتجاه العسكري.
4.	كبر مساحة القصور واتساع حدودها الخارجية.	ـ لتوضح مفاهيم الأكديين في تعظيم الملوك وتمجيدهم وإعطائهم الهيبة وبما يتناسب مع المساحات الكبيرة التي تضمها حدود الإمبراطورية. ـ تعكس التخطيط المسبق والمدروس فتصبح مساحة القصر كافية لأكثر من وظيفة لادارة مختلف شؤون الإمبراطورية المترامية.
5.	استخدام الغرف المزدوجة، أي: غرف طولية تنتظم حول فناء وتؤدي كل من هذه الغرف إلى غرفتين صغيرتين داخليتين[29]	ـ استخدام أسلوب العزل بين الوظائف المختلفة للقصر وتنظيمها والذي يعكس ما امتاز به الملوك الأكديون من مركزية في الحكم حرية وانفتاح وادارة دقيقة بالإضافة إلى الصرامة والقوة.

(28) شريف، المصدر السابق، ص70.

(29) Frankfort, op. cit, p. 45.

استخدامات القصر

1. القسم الأوسط (القسم الإداري).
2. القسم السكني
3. القسم الخاص بالمؤن والمعدات العسكرية

المخططات الوظيفية للقصور

1. الساحات الداخلية.
2. السمك الكبير للجدران الخارجية 10م والداخلية (2-3) م.
3. الغرف المزدوجة

4. تصميم الأفنية والمداخل وتأثيرها على الحركة

لعل أكثر ما يلحظ في القصور السومرية السابقة للعصر الأكدي، عدم الانتظام في تخطيط ممرات الحركة الداخلية بعكس ما نجده في القصور الأكدية من تصميم مسبق ومدروس لمخططات الحركة الداخلية فيها، وفي أدناه عرض لأهم النقاط ذات العلاقة:

1.	يكون الدخول إلى القصر عن طريق مدخل واحد يؤدي إلى فناء مركزي عن طريق مجازين متداخلين وتنظيم حول هذا الفناء بقية وحدات القصر[30].	ـ يعكس الفكر التخطيطي الأكدي المنظم. ـ إعطاء الصفة التحصيلية من الانغلاق التام من الخارج وصعوبة الدخول إليها بالنسبة للغرباء. يوضح التخطيط المسبق لممرات الحركة ودراستها تنسيقها وسهولتها ووضوحها. ـ التركيز على الجانب العسكري الذي امتاز به الأكديون عن طريق الأسلوب المنظم بالحركة مع مراعاة خصوصية وحرية الأفراد في القصر. -اهتمام الأكديين بالطرز الجمالية والدقة في إبراز مظاهر الصرامة والقوة.
2.	يرتبط بالفناء المركزي مجازات تؤدي إلى أفنية ثانوية عن طريق ممرات مستقيمة واضحة، سهلة الحركة.	
3.	تحيط بالأفنية الثانوية غرف منفردة أو مزدوجة وهذا يعطي الخصوصية والسهولة في الحركة إليها[31].	

(30) Frankfort, op. cit, p. 45

(31) لويد، المصدر السابق، ص167.

الأفنية والمداخل

1. الفناء المركزي.
2. مجاز المدخل.
3. الأفنية الثانوية.
4. الغرف المنفردة أو المزدوجة.

Abstract

The Effect of Akkadian Empire Concepts on the Palaces Architecture

Dr. Huseen Thaheer [(*)]

Khawla Fiath

This paper studies the relationship between the intellectual tendency and the political trends in the Akkadian period. The study depends on the type and style of the architecture of palaces in general and the reasons of Akkadian interests in particular.

It also studies the influence of this in tellectual tendency on the designing element of palace and the reasons behind using each of them in a way that serves the Akkadian Imperial intellect. The paper employs the designs and architecture of unearthed Akkadian palaces for architecture is an important cultural aspect through those periods. It is a creative art that reflects man's designing concepts revealing his Personality.

(*) Head Dep. of Archaeology - College of Arts / University of Mosul.